شبهة الاقتباس من الديانات اليهودية و النصرانية

الأستاذة: بن الموفق شهيناز

جامعة الأمير عبد القادر

سوف نحاول من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على أساليب المنصرين في إثارة الشبهات والافتراءات حتى يتسنى لنا الرد السديد وفق منهجية سليمة تقتضي التنظيم الصحيح للأفكار من أجل الكشف عن الحقيقة حينما نكون بها جاهلين أو البرهنة عليها حين نكون بها عالمين..

و نحن نرى الطريق الأقصر و الأسلم للوصول إلى الهدف المبتغى و كما يذكر الغزّالي في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد": **"أن يكون الأصل مأخوذا من معتقدات الخصم و مسلماته فإنه و إن لم يقم لنا عليه دليل، أو لم يكن حسيا و لا عقليا، انتفعنا باتخاذنا إياه أصلا في قياسنا، و امتنع عليه الإنكار الهادم لمذهبه..."**[1]

من حيث أن **"رد المذهب قبل فهمه و الاطلاع على كنهه رمي في عماية"**[2] أو كما يقول أبو حامد في المنقد من الضلال.

1- أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، مطبعة الجندي القاهرة، دت، ص27.

2- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود، ط6، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص 103.

مقتفين في ذلك آثار "**بن ربن**"[1] في تفنيده لافتراءات النصارى و المشككين وفق منهجية علمية رائدة ومبتكرة تقتضي الرجوع إلى المصادر في مضّانها الأصلية و بلغاتها الأصلية، منطلقا من مقدمات نقدية ليتثبت صحتها مستشهدا بنصوص الكتاب المقدس —و قلما يستشهد بالقرآن الكريم—

"فإن أغلب العمايات —كما يقول الجويني— إنما جاءت من أخذ الحجج مسلمة من غير امتحان الفكر وتدقيق النظر في تصحيح مقدماتها".

على ضوء ما تقدم، نلج إلى صلب الموضوع بعرض الخطوات العملية التي ينبغي اتباعها لتفنيد المغالطات ورد الشبهات، مع الملاحظة أن منهجية الردود تفترض استيعاب وسائل و أساليب المنصرين في إثارة الافتراءات.

ونحن نوردها كلما اقتضت المسألة ذلك.

1. **النظر في صحة مقدمات السؤال:**

وذلك ببيان ما في السؤال من مغالطة سواء كانت لغوية، تاريخية أو نحوية، و حتى لا يظن أو يتوهم أن ذلك إقرار ضمني بصحة مقدمة السؤال.

و نقصد بالمغالطة اللغوية تفسير اللفظة في النص بإحدى معانيها أو استخداماتها مع الحرص على إغفال المعنى المقصود من النص نفسه، مثال ذلك: المغالطة اللفظية التي أريد بها التضليل والزيغ عن المعنى الصحيح —مراجعة البخاري رقم 1890 و مسلم 440 و كذلك شرح جامع الترميذي ج157/1— بخصوص مصطلح "**المباشرة**" و التي لم يرد بها الجماع و إنما الملامسة و هذا الهو الأصل في لفظة المباشرة، و إن كان يكنى بها عن

1- علي الطبري المعروف بـ "ابن ربن" المتوفي 240هـ/855م، رفض الإنجيل لاضطراب مصدريته، صاحب كتاب الرد على النصارى و الدين و الدولة.

الجماع أحيانا غير أن الحال هنا يقتضي استعمالها بمعناها الأصلي و هو الملامسة، و**الدليل** على ذلك أمر الرسول صلى الله عليه و سلم لعائشة أن تتزر أي تشد إزارها على وسطها..

فالمنهجية السليمة تقتضي الرجوع إلى المعاجم اللغوية و التفاسير و الشروح لأجل وضع المصطلح في سياقه النصي الصحيح.

أما المراد **بالمغالطة النحوية** فهي ذلك الادعاء الكاذب بمخالفة اللفظة لقوانين الإعراب و قواعده المفترضة، و نذكر على سبيل المثال لا الحصر: قوله تعالى:

"إن جاؤوكم من فوقكم و من أسفل منكم و إن زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا"[1] (بفتح اللام في كلمة "أسفل" ... لا بكسرها باعتبارها مجرورة)؛ ولكن القوم فاتهم بأن ما علموه ليس هو كل العلم فإذا فوجئوا بشيء على خلاف ما تعلموا فليس لأنه خطأ و لكن لأنه في دائرة أوسع من دائرتهم ... و أن هناك في النحو ما يسمى بالممنوع من الصرف و أنه يجر بالفتحة لا بالكسرة... وقس على ذلك ما ادعاه هؤلاء من أخطاء و ما نسبوه ظلما و زورا من مغالطات..

والمنهجية السليمة كما أسفلنا تقتضي الاطلاع على أمهات الكتب: -***"الكشاف"*** للزمخشري و البحر المحيط لأبي حيان، و ***"روح المعاني"*** للألوسي و ***"التحرير و التنوير"*** لأبن عاشور و غيرها من كتب النحو و إعراب القرآن و سائر كتب التفاسير المضطلعة بذكر وجوه الإعراب المختلفة.

ثم **المغالطة التاريخية** و التي يدعي من خلالها المنصر وجود خطأ تاريخي في القرآن أو السنة.

1- الأحزاب: 10.

كادعاء الجهلة و المغرضين عدم ثبوت قصة بناء ابراهيم و ابنه اسماعيل للكعبة لعدم ورودها في الكتاب المقدس: و الرد السديد يقتضي إفحام الخصم بإلزامه الحجة و الدليل التاريخي المؤيد لادعائه و لن يتأتى ذلك إلا بتقصينا لمنهجية علمية دقيقة تقتضي المعرفة التاريخية و النقدية للكتاب المقدس أو ما يعرف بـ **"الفحص التاريخي"** المتضمن لسيرة المؤلف و المناسبة و الوقت و لغة الكتابة و الإحاطة بالظروف العامة و الملابسات الخاصة لكل كتاب مع الوقوف على مواضع التحريف و أهمها خمسة: كما اوردها ابن القيم في **"هداية الحيارى"**:

- لبس الحق بالباطل
- كتمان الحق
- إخفاء الحق
- تحريف الكلم عن مواضعه (لفظا و معنى)
- لي اللسان

ثم سرد تناقضات الأناجيل في نفسها و مع غيرها ليتبين أن اضطرابها و **اختلافها** دليل على أنها من عند غير الله .. ثم البرهنة على تجرد عقائد النصارى و خلو كتابهم من كل عقل باقتفاء منهج بحث علمي مضبوط و دقيق يبدأ بالشك.[1] ليعرض على النقد ويمر بالاستقراء بنزعة واقعية عقلانية وليس كما قالها أوغسطينوس "أؤمن بالمسيحية لأنها دين اللاعقل" !

1- لم نرد الشك لمحض الشك و إنما الشك الجاحظي طلبا للحقيقة و لنعرف بها مواضع اليقين و اللحالات الموجبة له.

فإن وقع البرهان بالدليل العقلي و الشاهد الإنجيلي على تحريف الكتاب المقدس من جهة و احتوائه على تناقضات و أخطاء تاريخية، تسقط مصداقيته و الوثوق به و تسقط معه أباطيل المغرضين و افتراءات المشككين ..

2. النظر في صحة الدليل و في صحة الاستدلال:

أما الدليل فيكون بالنظر في صحة مصدره و الرجوع إلى أهل الاختصاص لمعرفة مدى ثبوته فقد يخطئ الناقل عن عمد أو جهل.

أما النظر في صحة الاستدلال فيقتضى المحافظة على جوهر المعنى الذي أراده صاحب النص الأصلي .. و هي إحدى المنافذ التي يستغلها المفترون بإتيانهم بنصوص صحيحة و الاستدلال بها على معان لا يحتملها النص، و ربما أجادوا –بحسبهم– فجمعوا بين ضعف الدليل و فساد الاستدلال.

3. تفنيذ الشبهة بقوة الدليل و رصانة العقل و سلاسة الأسلوب:

ويكون ذلك باستئصالها من جذورها وفقا للخطوات التالية:

- تحديد موطن الشبهة و حيثياتها و أبعادها.. فإن تم ضبطها و فهمها حَسُن الردّ و استصاغَ ..
- أن يكون الرد بقوة الدليل و وضوحه مع حسن توظيف الاستدلال به.
- الدقة في استعمال المصطلحات و ضبط الألفاظ و العبارات .
- التأكيد على هشاشة الفِرية و تهافتها.
- و المنهجية السليمة تكون بحشد الادلة المتعلقة بالموضوع ثم ترتيبها و اختيار أقواها ثبوتا.

مما يستصيغه العقل و يعززه الدليل و يؤيده النقل عن أهل الاختصاص من أمهات الكتب و المصادر المعتمدة..

–غلق السبل و سد الثغرات الذي يحاول المغرض من خلالها إيراد الاعتراضات للتشكيك في صحة الرد و إضعافه، لذلك وجب على المشتغل بالردود التهيء لمثل هذه الإيرادات و الإيماءات المغرضة *les insinuations insidieuses* بأنْ يستدرك عليها بتوقُّعِها و طرحها قبل وقوعها.. كأن يستدل الخصم بحديث ضعيف فإذا جاء الرد ببيان ضعفه، ذكر أن عالما معينا صححه، و هنا يقتضي الحال –على المتضلع بالردود ممن فتح الله عليهم بما أخلصوا– أن يستدرك على خصمه و يجيبه في ثبات و سداد، بأن هذا العالم ، معروف عنه التساهل في تصحيح الأحاديث و قد استدرك عليه كثير من العلماء المحققين، تصحيحه لهذا اللحديث و بينوا خطأه فيه من عدة وجوه! –طبعا– مع توثيق الأدلة، بعزْوها إلى مصادرها.

4. الرد على المغرضين و المفترين من مصادرهم:

وإفحامهم بردّ حجتهم عليهم، مما تقرره مصادرهم، مستقرئين مناهج العلماء في الأديان: من ذلك إلزام الخصوم بما وُجد في كتبهم..، مثال ذلك: محاولة المنصرين تصوير ***"النسخ في الإسلام"*** على أنه مما يقدح في تمام علم الله و حكمته لأنه يلزم من الإقرار بوجوده. القول بالبداء على الله –و يقصد بالبداء أن الله عز و جل ظهر له من العلم ما لم يكن ظاهرا من قبل، و لذلك حدث تغيير الحكم، سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون!

والرد المنهجي على هذه الفرية إنما يكون بنفي وجود هذا التلازم و إثبات أن البداء في حقه تعالى كفر؛ وإنما اقتضت حكمته تعالى في علمه المسبق وضع الحكم المنسوخ إلى أجل مسمى، ثم استبداله بحكم آخر متى دعت الضرورة إلى ذلك، فإذا تم استيفاء الرد من

الجانب الإسلامي، أثبتنا تقرير وجود النسخ في كتب النصارى، بالشاهد الإنجيلي و على الوجه الذي يحمل انتقاصا لمعبودهم:

من ذلك ما ورد في رسائل بولس:

أ. إلى أهل غلاطية حين جعل أحكام التوراة منسوخة حيث قال فيها بصريح العبارة ***"لأنها كانت لعنة خلصنا منها"*** [1] ، في حين جاء على لسان عيسى –عليه السلام– في متى: ***"ما جئت لأنقض الناموس بل لأتمم"***

فكيف لهذا الكتاب أن يكتسب المصداقية، و يدعي القداسة و قول المسيح عيسى بن مريم يناقض أقوال بولس في رسائله –التي تشكل خمسة أسداس العهد الجديد –..كما جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم و نسخ شريعة الختان وقام بِنقل العيد الأسبوعي ليوم الأحد *Sunday* ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين و أباح أكل لحم الخنزير ..

و قد جاء في الرسالة إلى العبرانيين ، الإصحاح7 ، العدد 18: ***و هكذا نسخت الوصية السابقة لضعفها و عدم فائدتها،*** –وفي نسخة–***" .. وعدم نفعها"***

فهذا النص يثبت وجود النسخ من جهة و يفصح عن علة النسخ، بضعف الوصية و عدم فائدتها و في هذا انتقاص لمشرع الوصية و قدحٌ في علمه و حكمته!

و في إطار تتِمّة منهجية الردود، نرى من الأهمية بمكان، الإشارة إلى سلبيات قد تقع في الردود **تفاديا** من الوقوع فيها:

أ. الدخول في جزيئات و تفريعات بعيدة عن موطن الشبهة و أصل الافتراء.

ب. تجنب الإسهاب الممل و الاختصار المخل في الرد على الافتراء.

1- غلا 3: 13.

ت. استخدام ألفاظ ومصطلحات غريبة تخفى على جمهور المستمعين.

ث. الرد من دين الخصم و كتبه قبل استيفاء الرد من الجانب الإسلامي.

ج. التجرد من الذاتية و الالتزام بالموضوعية بإبعاد الجانب العاطفي وإعطاء الغلبة للجانب العلمي المنهجي.

وفي الختام نُصرّ على إخلاص العمل لله عز و جل، من ذلك، عدم المناظرة بِنية العلوّ للذات و إنما بنية العلوّ للدين و السعي في جعل "كلمة الله هي العليا" .. فمما ينسب لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة قوله: "ما جلست مجلسا أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم و ما جلست مجلسا أنوي فيه أن أعلوهم إلا و لم أقم حتى أفتضح *!*

و الله نسأل أن يوفقنا و يسدد خطانا لما يحبه و يرضاه.

نأتي الآن إلى **تفنيد شبهة "أن الإسلام لم يأت بجديد"** بأسلوب منهجي علمي متوخّين الموضوعية ماستطعنا إلى ذلك سبيلا ...

فقول المغرضين بأن القرآن لم يُضِف شيئا لما جاء في الكتب السابقة، و هي شبهة ذات صلة وثيقة بمغالطة أخرى ألا و هي: ***أن القرآن ليس إلا تلفيقا و تجميعا لما اشتملت عليه الكتب السابقة !*** وعلى افتراض صحة ادعاءاتهم:

- **فما حقيقة كل منهما؟**
- **و ما وجه العلاقة بينهما؟**
- **و ما هي مواطن الاختلاف و الاتفاق بينهما؟**
- **و ما رصيد كل منهما من الصحة و الواقع؟**

هذا ما سنحاول إيضاحه فيما يلي مستقرئين مناهج العلماء في الأديان كما أسلفنا الذكر في بداية المقال:

فالقرآن الكريم و كما لا يخفى على كل مُقرّ و جاحد: "و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم" دستور متكامل يشمل جميع جوانب الحياة الروحية و المادية من العبادات و المعاملات و للاستدلال على صحة أقوالنا نقيم مقارنة تحليلية نقدية في مجالات العقيدة و التشريع و العبادات و المعاملات بين الكتاب المقدس

والقرآن الكريم، تتقدمها ملاحظتين هامتين:– تحملنا عليها الموضوعية العلمية،إن شاءالله–

- **الأولى**: أن أصل التوراة و الإنجيل حق لا ريب فيه، لأنهما من عند الله سبحانه، بيد انه طرأ عليهما الكثير من التحريف و التبديل و استدلالنا هنا يتعلق بالتوراة و الإنجيل المحرّفين، الباقين بين أيدي الناس إلى يومنا هذا ..
- **و الثانية**: مفادها أن القرآن جاء مصدقا و مهيمنا على ما سبقه من الكتب السماوية، و من معاني **"الهيمنة"** أن يكون في القرآن ما ليس في غيره من الكتب، و بناء على هاتين الملاحظتين، نشْرع في الرد على هذه الفرية من خلال العناصر المنهجية التالي ذكرها:

1) **ففي الجانب العقدي**: و هو الجانب الأهم و الأبرز، نجد القرآن يدعو إلى عقيدة التوحيد الصحيحة (*Unicity of God*) بإفراده تعالى وحده بالعبودية لا شريك له، بيده مقاليد الكون كلها، بينما تقوم عقيدة النصارى المحرفة على أكثر من تصور بشأن الذات الإلهية في شخص المسيح –عليه السلام–، وأما عقيدة اليهود فتصِف الخالق بصفات بشرية لا تليق بجلاله و إن كانت تقول بوجود إله حق ..إلا أنه إله قومي، خاص بشعب إسرائيل فحسب!

2) **ثم في مجال العقيدة أيضا:** فإن المتأمل و الدارس في الكتب المقدسة، لا يكاد يجد كلمة واحدة، حول قيامة الأجساد أو حول الجنة و النار[1] في حين نجد ان القرآن الكريم لا يخلو من ذكر هذه المسائل، بل جعل الإيمان بها من مُقوّمات الإيمان الصحيح و أركانه.

3) **في مجال التشريع:** جاء القرآن منظومة تربوية، راعت مصالح الدنيا و الآخرة معا و لبّت مطالب الجسد و الروح في آن[2] في توازن منسجم *dans un équilibre harmonieux* ، في حين دعت الشريعة المسيحية إلى الرهبانية التي تعني اعتزال الحياة و تحقير الدنيا و نبذ الجسد، اما اليهود فكذبوا الأنبياء و اتبعوا الشهوات و غرقوا في الماديات،" أ ***فكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم و فريقا تقتلون"*** [3]

و نرى القرآن يذم موقف النصارى من الرهبنة و مواقفها السلبية من الحياة في قوله تعالى: ***"و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم"*** [4] . و هكذا ترى الشريعة الإسلامية في الرهبانية موقفا لا يتفق بحال مع ما جاءت به من الوسطية و التوازن بين حاجات الروح و متطلبات الجسد.

1- أنظر عبد الأحد داود: محمد في الكتاب المقدس .

2- محمد الزحيلي: وظيفة الدين في الحياة و حاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 1991.

3- البقرة الآية: 86.

4- الحديد الآية : 27.

وهذه الوسطية السمحة، تتسم بها جميع أحكام الشريعة الإسلامية، و هذا ما لم يكن في الشرائع السابقة البتة!

4) **أما في مجال العبادات:** فلم يحصر القرآن مفهوم العبادة في نطاق ضيق و لا ضمن شكليات محددة، وطقوس جامدة بل وسع مفهوم العبادة بنقلها من المحيط المحدد إلى المحيط الأوسع بجعل القصد من الخلق و الحياة **هو العبادة،** -العبادة بمفهومها العالمي الإنساني الواسع-:

"و ما أرسلناك إلا كافة للناس" [1]

"فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه و إليه النشور" [2]

" و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون" [3]

كما لم يقيد أداء العبادة بمكان محدد، بل جعل الأرض كلها مكانا لذلك لقوله جل و علا: ***"فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم"*** [4]

وعلى ضوء ما تقدم، يظهر جليا، أن الأمر في الشرائع السابقة لم يكن على ما جاء به القرآن!

5) **و أما في مجال المعاملات:** فنقف على بعض الأمثلة التي توضح **"جديد"** القرآن:

1- سبأ: 28

2- الملك:

3- الذاريات: 56.

4- البقرة: 115.

- **في العلاقات الأسرية:** فإن كان الإسلام قد حرر المرأة و كرمها و أعطاها حقوقها و جعلها اللبنة الأساسية التي يستقيم عليها البنيان الأسري فإن التوراة نظر إلى المرأة باعتبارها مصدر كل شر ..
- **في مجال العدل الاجتماعي و المساواة و احترام كرامة الإنسان:** نجد التعاليم المسيحية تقدس الطبقة الحاكمة و تنسب العِصمة لأعلى سلطة كهنوتية و توجِب الطاعة لرجال الإكليروس كطاعتهم المسيح باعتبار الكنيسة "جسد المسيح و هو رأسها "ـبحسبهم طبعا- فنقرأ من تعاليم الدسقولية[1] مثلا

"أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف و رعدة" أما في الإسلام فلا يخضع الإنسان إلا لخالقه وحده، و قد أقر القرآن بهذه الحرية للإنسان من لحظة ميلاده لقوله تعالى: ***"و لقد كرمنا بني آدم"*** [2]

- **أما في قانون السّلم و الحرب:** فقد اعتُبِر السلام هو الأصل في الإسلام: ***"يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة .."*** [3] . و جعل الحرب ضرورة تقتضيها سنن العمران و الدفع الحضاري من الخير للشر و من الحق للباطل ..، هذا فضلا عن آداب القتال التي شرعها الإسلام .. كل هذا لا نقف عليه في الشريعتين اليهودية و النصرانية..

1- الدسقولية: مؤلف قانوني و طقسي من القرن الثالث، يرجح أنه سرياني الأصل، و قد جمعت فيها كتابات الآباء الرسوليين أو ممن زعموا بأنهم كانوا على علاقة بالرسل: معجم الإيمان المسيحي: صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص212.

2- الإسراء: 70.

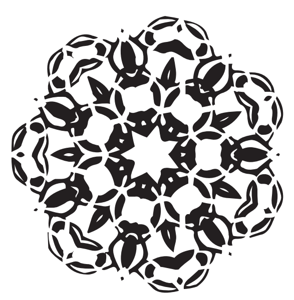
3- البقرة: 208.

وقد لا يسعنا المقال لذكر التفاصيل لذلك نُحيلكم –للاستزادة و الاستفادة– على بعض المصادر التاريخية، على سبيل المثال لا الحصر:

- **عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.**
- **جلال مظهر: حضارة الإسلام و أثرها في الترقّي العالمي.**
- **غوستاف لوبون: حضارة العرب.**
- **سيقريد هونك: شمس الله تسطع على الغرب.**

- **و في مجال الحياة الاقتصادية و الشؤون المالية:** فقد كان الرِّبا و ما يزال قوام الاقتصاد بين اهل الكتاب .. و كان المال و مازال عند أهل الكتاب المعبود و الغاية التي يجب الوصول إليها بأية وسيلةٍ كانت .. في حين جاء الإسلام بتحريم كل تعامل ربوي و أن الإنسان في هذه الحياة مستخلف فيه ومحاسب عليه كسبا و إنفاقا: ***"و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه"*** [1]

و الأمثلة أكثر من أن يحصرها مقال كهذا ..ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .. فالمغرضون يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم و لكنهم يجحدون.. و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم .. والله متم نوره و لو كره الكافرون !



1- الحديد: 7.